### أيام التصوير الضوئي للعام السادس في دمشق:

# حضور لافت لعدسة المصورة الايرانية شادي غاديريان قاجار

دمشق ـ «القدس العربي»:

للعام السادس على التوالي يرعى المركز الثقافي في دمشق أيام التصوير الضوئي، التي تنوعت نشاطاتها وتوزعت في أكثر من اتجاه.

المعرض الأول للفنانة الإيرانية شادي غاديريان قاجار، وقد افتتح في بهو المركز الثقافي الفرنسي في دمشق بتاريخ 2 أيار (مايو) ويستمر حتى 26 منه.

ولدت الفنانة قاجار عام (1974) في طهران ودرست فن التصوير الضوئي في جامعة «آزاد»، حيث عملت في متحف التصوير الضوئي في طهران «آكسكانة شهر» ودرّست التصوير الضوئي في العديد من المعاهد الإيرانية.

أقامت معرضها الأول في صالة «آريا» في طهران عام (1977)، كما شاركت في المعرض الجماعي للمصورين الضوئيين الشباب في باريس وإيران لصالح صالة «بايخ» في طهران عام (2000)، وعرضت في بيت ثقافات العالم في برلين من نفس العام وكذلك في مهرجان «باليمينا» للفنون في ايرلندا، وفي كوبنهاغن وفي مهرجان طريق الحرير في طهران أيضا، كما عرضت في «بينالي» الشارقة (2003).

ورغم أنّ الفنانة قاجار تتكئ على ملامح تعود لعصر القاجار الذي امتد في إيران منذ نهاية القرن الثامن عشر حتى بداية القرن العشرين، إلا أنها تشتغل على توليفة معقدة ما بين صورة المرأة من جهة والخلفية وما بين الثياب التقليدية والأشياء الموظفة ضمن اللوحة، مع احتفاء استثنائي بصورة المرأة التي تلبس العباءة التقليدية وهي تقف بجوار الدراجة الهوائية أو في وضعيات أخرى تشير إلى الإعاقة أو نقد التقاليد التي تبدو الحداثة الغربية عاجزة حيالها.

مجموعة من اللوحات التي فرضت رؤية تقنية بالاندغام مع موقف سيسولوجي ناقد ارتقى بأعمال قاجار الضوئية إلى مستوى فني رفيع.

المعرض الثاني افتتح في 4 أيار (مايو) في خان أسعد باشا الأثري، وقد ضمّ صوراً مأخوذة من مجموعات مهمة من الصندوق الوطني للفن المعاصر FNAC من وزارة الثقافة الفرنسية، ومن مركز المتوسط للتصوير الضوئي CMP في باستيا، وهذه الأعمال تعبر عن رؤى وتقنيات متباينة.

ففيما يلعب وائل خليفة على الفاتح والداكن وعلى الضبابية أو «الفلو» الناتج عن الحركة أثناء التصوير، بحيث نشاهد شخصيات تنفصل عن خلفية الصورة وكأنها تنجذب بفعل الضوء، فإنّ محمد حاج قاب يشتغل على خيالات الجسد، أو الإحساس به عبر الفراغ من وجهة نظر الآخر، وهو يُركز على مستويات في الإظهار والإيهام من خلال اللعب بالإضاءة للإيحاء بدلالات قد تبدو حسيّة أكثر من سواها، رغم أنّ الشغل يتم على دمى.

أيضاً «دولوريس مارا» اشتغلت على الظلال والأخيلة في عملها «المدينة والليل» بطريقة خاصة جداً، جعلت اليومي يبدو غريباً ومثيراً للفضول ضمن تشكيل سينمائي يُشبه السرد أو الحكاية في علاقتها بالمتلقي. كذلك «جوان فونكو بيرتا» يعمل على الخيال في علاقته بالواقع، وأين هي الحقيقة من ذلك؟ حتى أنّ البعد السردي للصورة يبدو أشبه بالتوثيق في عمله «مازيري» المأخوذ عن أسطورة كورسيكية متوارثة تتحدث عن رسل الموت، أو العالم الوسط بين الحياة والموت من خلال خداع بصري يقوم على اللعب بين مفهومي المرئي واللا مرئي، وتركيب عناصر الصورة وظلالها معاً.

في تجربة سلام حسن تقنية مُبتكرة تمزج بين المواضيع الإنسانية، وبين الأشكال البلاستيكية التي تضع المتفرج في حيرة بسبب اختيار الكادر وتراكم الوجوه المعروضة بشكل مُتسلسل، وتبدو أعماله قريبة من لوحات آلان فليشر، لكنّ هذا الأخير يلعب بالضوء إلى حدود النحت، كما يلعب بالازدواجية والانعكاس والظل، وهذا يؤدي إلى إيهامات بصرية قد تكشف هشاشة النظرة في علاقتها بالواقع، وتثير قدراً من الشك في مصداقية الصورة التي شاهدناها باسم «كولومبا ـ المرأة الثابتة» وهي مُنفذة عام (1998) بالاتكاء على أساطير كورسيكا في بداية القرن التاسع عشر، لكنّ وجه المرأة يجيء على خلفية توحي بالرسم وليس التصوير من حيث التلوين، كما توحي أكثر بتركيب مجموعة من العناصر تفتقد اليقين في علاقتها مع بعض.

وهي تبدو بعكس ميمو جو ديس الباحث عن الإمكانيات التعبيرية في اللقيطة القريبة جداً، وبشكل خاص فيما يتعلق بالآثار الكورسيكية، فيما اهتمت فاليري بيلان بعصر الباروك في كورسيكا، وهي تعمل على مظهر وسطح الأشياء في العمارة والديكور وبشكل خاص في الكنائس التي تحفل بالعديد من الزخارف، حيث تسعى الفنانة لعزل أجزاء منها كي تبرز الطابع ثنائي البعد باستخدام الأبيض والأسود في التصوير الضوئي، وهو ما يوحي بالعمق البصري للوحة/ الصورة.

كما حفل المعرض بنمط آخر من الصور، فتيبو كويسية يشتغل على المنظر الطبيعي اعتماداً على ثلاثة عناصر أساسية هي الضوء وزاوية النظر وتحديد المسافة بحيث ينفي المبالغة أو اللامبالاة على حد سواء، وهو يستبعد الرؤية السياحية في خياراته للصورة التي تحفل بالتناقضات والحركة معاً. كذلك أندريه مبريان الذي يهتم باللقطة الواسعة لمحيط المدينة أو التجمعات السكنية على الأطراف والتي تظهر التوازن الهش والمؤقت لهذه الأماكن، والتصحر المديني مقابل غزو المجتمع الاستهلاكي وتوسع مواقف السيارات والإنشاءات قيد الإكمال، بحيث نلاحظ انحلال الجسد أو الأفراد في هذه الفضاءات.

فيما يقدم ماسيو فيتالي من خلال الصورة «باحة المدرسة» اهتماماً مغايراً بالأفراد ضمن المكان، الذي يشكل قياسات كبيرة أيضاً، لكن مع الاهتمام بالبشر في علاقات جديدة كأوقات الفراغ على الشواطىء أو صالات الديسكو، وهنا ينحل الجسد أو الفرد في المجموع وليس في الفضاء ذاته.

الأعمال الأخيرة التي استوقفتنا بعنوان «الجدار 2005» وهي تشي بالهوية والهم الفلسطيني للمصور طارق الغصين الذي يسعى في اعماله لمعالجة وضع الفلسطينيين تحت الاحتلال الإسرائيلي، وطرح علامات استفهام حول النظرة الغربية لقضاياهم الإنسانية والكفاحية معاً من خلال اللعب على موضوعة الجدار العازل في علاقته بالبشر.

المعرض الأخير افتتح في مكتبة الأسد بتاريخ 7 أيار (مايو) باسم «بعد وقرب» بالتعاون مع معهد سرفانتس الألماني، يُقدم أعمال مجموعة من خريجي مدرسة بيرند وهيلا بيشر، والتي اهتمت بالتصوير الضوئي كأداة للتوثيق واهتمت أيضا بمبدأ التصنيف والمقارنة، كما اهتمت بالصرامة المعمارية والاقتصادية للأمكنة المصورة. ويشكل هذا المعرض رؤية استعادية لـ76 صورة ضوئية لكبار الفنانين الضوئيين في العالم والتي يرعاها معهد غوته منذ عام 1850 وحتى الآن.

كما حفلت أيام التصوير الضوئي هذا العام بعروض سينمائية متميزة، وبمحاضرتين هامتين في كلية الفنون الجميلة، الأولى لجوزيف كودلكا بمناسبة الإقامة الإبداعية له في دمشق والتي انتهت بعرض لأعماله مع لقاء حواري مع الجمهور وطلبة الفنون الجميلة بشكل خاص، ويعتبر كودلكا من أهم القامات الإبداعية في حقل التصوير الضوئي وقد لقبه بروتون ب «العين الوحشية» في فرنسا.

أما اللقاء الآخر مع داميان سوسية فقد اعتمد على وثائق فيديو وصور لتحليل أعمال فنانين فرنسيين من جيل الشباب في فرنسا، وهو ما يتصل باهتمامه بموضوع الواقع في الفن الفرنسي أو الغربي المعاصر، الذي تسيطر عليه الصورة المتلفزة والشعارات الدعائية واقتصاد السوق.

من اعمال شادي غاديريان قاجار

### جذور في السماء:

# إشكالات الانتماء من خلال فيلمين إسبانيين

عبداللطيف البازي*

■ تعبر اللغة الاسبانية بشكل جميل وأنيق عن التداخل الجوهري والعميق بين مفهومي «الذات» و«الآخر»، فكلمة نحن Nosotros هي في الأصل بشكل جمع بين كلمتين مستقلتين هما : nos أي نحن و otros أي الآخرين. غير أن هذا التداخل يتخذ، في غالب الأحيان وحينما يغادر المستوى اللغوي، طابعا صراعيا ذلك «أن الذات، كما يلاحظ الباحث نورالدين أفاية، إذا انتفضت للتعبير عن مقومات وعيها، وعن إرادة مختلفة للقوة، فإن السجال والتوتر وسوء التفاهم هو ما يغدو مميزا لهذه العلاقة مع الآخر، ولاسيما إذا عمل هذا الأخير كل ما في وسعه من قوة ورغبة في الهيمنة على تشويه وعي الذات بمقوماتها وتكسير شوكة إرادة القوة المتنامية فيها» (1) وهذه القولة تكشف، بدقة، الخلفية الفكرية الموجهة لفيلمين اختارت أن تضيئهما هذه المقالة. يتعلق الأمر بفيلم «حكاية مغربية Romancero Marroqui» 1939 وفيلم «الريح الموسمية Po-niente» 2002 اللذين رغم تباعد تاريخ انجاز كل واحد منهما فإنهما يلتقيان في أكثر من موضوعة وسمة جمالية.

ـ أ ـ يندرج فيلم «حكاية مغربية» الذي أخرجه كارلوس فيلو و دومينكيز روديغو، ضمن الأفلام الكلونيالية الدعائية التي صورت ،خلال مرحلة الاستعمار الاسباني لشمال المغرب، من طرف سينمائيين إسبان قصد المساهمة في امتصاص اعتراض قطاعات واسعة من مجتمعهم على المغامرة الكولونيالية التي كان يتزعمها العسكريون بقيادة الديكتاتور فرنسيسكو فرانكو.

وهذه الأفلام الكولونيالية تتيح لنا بالتأكيد إمكانية التعرف على بعض أولى صورنا في المتخيل السينمائي الاسباني وإمكانية تبين مصدر بعض الصور والمواقف النمطية التي ما زالت إلى الآن حاضرة في الإنتاجات السينمائية الغربية. فيلم «حكاية مغربية» يتوزعه سجلان: السجل الوثائقي والسجل التخيلي مع غلبة للسجل الأول وكأن حكاية العلمي وفاطمة اللذين نتعرف عليهما في الفيلم ما هي إلا علة ليمتد المحكي إلى مساحات إضافية، كما أن هاتين الشخصيتين تشكلان الرابط ما بين البرنامجين الحكائيين المتضمنين في هذا العمل، البرنامج الأول يصور الأوضاع اليومية في المغرب المستعمر في أربعينيات القرن الماضي. في حين يتمحور البرنامج الثاني حول حرب الكاودييو فرانكو ضد الجمهوريين في ثلاثينيات القرن الماضي.

هكذا نجد أنفسنا إزاء رحلتين: رحلة إلى أعماق المغرب حينما قرر العلمي أن يرحل نحو جنوب المغرب لتكون هذه الرحلة أسيرة العديد من الصور والمكونات النمطية التي تبرز بشكل ملحوظ وإلى حد الآن في الإنتاجات السينمائية الغربية عند الحديث عن عوالم الشرق. من بين هذه المكونات التي يتكرر حضورها نذكر مثلا: الكتاتيب القرآنية والجمال والخيام وصوت الآذان وشساعة الصحراء.

أما الرحلة أو المغامرة الثانية التي تعرض صورها علينا فقد وجد العلمي نفسه مشاركا فيها دونما وعي بأبعادها ومشاركته مردها إلى أن شيوخ بلدته قرروا مساندة فرانكو. لذا نجد فرسانا مغاربة يركبون طائرة حربية متهالكة و يهللون تهاليل دينية ورفقتهم كبش وكأنهم يرغبون في تقديم فدية أو قربان إلى جهة ما.

وخلال الحرب، حافظت فاطمة على عاداتها الصغيرة حيث ترافقها الكاميرا وهي تتوجه إلى السوق لشراء أعشاب تقليدية من أجل ابنها المريض ثم نراها وهي تعجن خبزا وتتوجه مضطرة عند الطبيب الإسباني الطبيب، بالضرورة، ليعطيها دواء لابنها الذي سيتعافى، بالضرورة أيضا، بسرعة فائقة.

ـ ب ـ يتضمن فيلم «الريح الموسمية»، الذي أخرجته سينمائية أندلسية شابة هي Chus Guiteries، بعدا وثائقيا واضحا هو الآخر. في هذا العمل نتعرف على قصة لوسيا، المدرسة الوديعة التي تعيش بمدريد حيث استقرت بعد فاجعة غرق ابنتها ورحيل زوجها إلى أمريكا. وحينما علمت بنبأ وفاة أبيها توجهت إلى مسقط رأسها الإيخيدو بعد سبع سنوات من الغياب، مدة كانت أكثر من كافية لتعرف بلدتها العديد من التحولات المربكة وليصبح هاجس سكانها الأكبر هو أداء مستحقات البنوك لتسديد الديون المتراكمة عليهم من جراء استثمارهم في مشاريع فلاحية مكلفة.

والإيخيدو بلدة يكون المهاجرون عنصرا أساسا في حياتها اليومية وإن كانوا يعانون من استفزازات لا تحصى وعدوانية تأخذ تمظهرات عدة. وقد قررت لوسيا الإشراف على المزرعة التي ورثتها عن أبيها والتي كانت مصدر نزاع مع أحد أقاربها وحاولت أن تجد لنفسها موضع قدم في هذا العالم الذي أصبحت غريبة عنه وعملت على إعادة تنظيم العمل بالحقول البلاستيكية ونسجت علاقات مغايرة مع العمال المهاجرين بمساعدة كورو الشاب الوسيم الذي عاش لمدة طويلة بسويسرا، مما جعله يحس بانجذاب خاص نحو المهاجرين وخاصة نحو المغربي الأمازيغي دوندي الذي يتحدث كثيرا عن الجذور بحثا عن دفء مفتقد.

ونقترب عبر هذا الفيلم من الحياة اليومية للمهاجرين، حياة كئيبة تفتقر لمقومات الكرامة ولحضور أنثوي يضمد جراحاتهم.

ويشتد الاحتقان وتتوالى احتجاجات هؤلاء المهاجرين ومطالبتهم بتسويته أوضاعهم القانونية والمعيشية و بمعاملتهم كـ«كائنات مرئية».

ومقابل ذلك اجتمع مالكو الحقول لينا صر بعضهم البعض قصد حماية مكاسبهم إزاء «جشع» المهاجرين والمغاربة على الخصوص الذين يخفضون أثمنة الخضراوات. وبدأ الحريق في المزارع البلاستيكية وأصبحت المدينة رهينة للحظة تغلبت فيها الغرائز والعدوانية و تحولت إلى شرك كبير، وهناك من اعتبر بأن الأمر يتعلق بحرب صليبية جديدة. وتم الاعتداء على كورو لأنه أعلن صداقته للمهاجرين. وكانت المعركة رهيبة وغير متكافئة. ونلتقي بلوسيا وحيدة وهي تحتضن كورو الذي فارق الحياة في حين كان الرحل الجدد يتابعون رحيلهم الأبدي بحثا عن معنى جديد لوجودهم.

ـ ج ـ ورغم تباعد تاريخ إنجاز هذين الفيلمين فإنهما يلتقيان في جملة نقاط أهمها: أنهما يدافعان عن أطروحة محددة ويحاولان إقناع المتلقين بها. فـ«حكاية مغربية» فيلم دعائي يحاول تقديم وضع غير مقبول هو وضع الاستعمار بوصفه وضعا اعتياديا ومتضمنا لتوترات مقبولة لا تأثير لها البتة على التعايش بين المغاربة والاسبان.في حين رغب فيلم «الريح الموسمية» في التأكيد على أن للمهاجرين كل الحق للعيش بطمأنينة وكرامة وحرص كذلك على تذكير الاسبان بأنهم مند زمن ليس بالبعيد كانوا يضطرون، هم أيضا، إلى الهجرة نحو دول أمريكية و أوروبية كانت أكثر تقدما منهم.

وبما أن الفيلمين متضمنان لرسالة محددة فإننا نجد لغتهما السينمائية تقترب اقترابا كبيرا من الأفلام الوثائقية أو سينما الحقيقة سواء عند تصوير الحياة اليومية للعلمي وفاطمة وأسرتهما أو في تقديم المواجهات بين المهاجرين وأرباب العمل الجشعين. ويلتقي الفيلمان كذلك في نزوعهما الرومانسي ومن هنا استثمارهما لمشاهد تناغم الإنسان مع الطبيعة و لمشاهد الإحساس الحاد بالوحدة بالنسبة للعلمي و زوجته و لوسيا والمهاجرين الذين يعيشون بجوارها و هذا ما يبرر أيضا تدخل الموت بصفاقة وتحكمه في مسار الأحداث وذلك ما نعاينه على الخصوص في الفيلم الثاني.

ـ د ـ ويبقى أن حضور الآخر في حياتنا اليومية يشكل دوما تحديا من نوع خاص وحافزا لكي نظهر أنبل مشاعرنا وأحيانا يعري هذا الحضور عن نواقصنا وفظاعاتنا الأكثر اختباء. إن مواجهتنا للأجنبي تجعلنا في معظم الحالات نربح الشيء الكثير. ذلك ما تؤكده الباحثة فاطمة المرنيسي حينما تقول على لسان جدتها ياسمين: «عليك أن تركزي انتباهك على الأجنبي العابر وتحاولي فهمه. كلما فهمت أجنبيا عرفت ذاتك أكثر، وكلما عرفت ذاتك بشكل أفضل تقوت قدرتك على تحصينها وازدادت حظوظك في الدفاع عن نفسك وإقناع الآخرين بقدراتك واكتساب حبهم(2).

* ناقد سينمائي من المغرب

هامشان

(1) الآخر في المتخيل السينمائي المغاربي ،الثقافة المغربية العدد1، ماي يونيو 1991، ص 78| 79.

(2) فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى الغرب، ترجمة فاطمة الزهراء أزرويل، المركز الثقافي العربي | نشر الفنك، بيروت | البيضاء، الطبعة الأولى، 2003، ص 6.

# تداعيات

## هذيانات مدينة تحت رق

محمد صبيح*

«إلى روح المناغوط التي راحت واستراحت»

في التاسع من نيسان صباحاً قبل الثامنة
لم تكن مستيقظاً... إنما
نسبة الكحول في خمر المساء وجهاز ضغط الدم الذي استعرته من أرملة
صديقك التي كفت أخيرا عن خيانته
ساعداك بخير
فكان أن
عادت إليك عادة الاتزان المنسي وشهوة الاستبصار
يا من تعاني ومنذ عشرة قرون بتوصيف المختبر المركَزي من عدم اتضاح في الرؤية وعشوائية في اتخاذ القرار «وانما تعمى القلوب التي في الصدور».
كم أنت شهية بالسواد هذا المساء يا حبيبتي
وريثما أتأكد من جفاف مائك الملوث بالأنفلونزا سآتيك قريبا
لامجال لإطفاء نارك أيها المتهتكُ..
فالمدينة تستعر الليلة «بارتفاع أسعار المحروقات والسجائر والكحول»
غدا أو ربما بعد غد سأرفع نسبة الملح في دمك يا حبيبي .. واترك الأزمة الاقتصادية وحرائقها تغفو الليلة في برد سريري ..
واذا ..
لا آهات تخترق الصمت الشعبي بهذا الليل سوى شهقات «وزير المالية وهو يتعفف «مثل يوسف» في نشرة المساء
وهو يلتهم نخاع المجاميع» مثل ذئبٍ في عناوين الصباح!
.....

.....
في التاسع من نيسان صباحا قبل الثامنة
كان بائع الكعك شارد الذهن أمام مدرسة البنات الثانوية مقابل مركز الأمن
خلف المشرحة الجاثمة كشجرة سرو تظلل عيادة الأمراض التناسلية المكتظة بالطوابير العقيمة يصدها لولب الحارس وتأخر الطبيب المناوب وضياع الملفات... والبيض المسلوق ينام مسترخيا. عشرين شهيدا في تجاويف الكرتون المغبر أحصيتُ.. ترى ماذا ازدرد الموظفون هذا الصباح يا شاعر النثر المنثور على صفيح المشاعر ال غير شرعية..
حاول تفكيك الرقيب الجاثم فوق كرسي دماغك وابتعد عن السطحية واكتب بوحا جوّانياً.. تخلص من بقايا جراثيم «الديالكتيك الذي نشر وباءه في شرايين روحك كارل ماركس ومحمد الماغوط ... هكذا نصحني الناقد محرر الصفحة الثقافية وهو يلقي بقصيدتي ككرة في شباك مرماي ... نحن حراس ضمير الأمة .. لفتَ انتباهه وأنا اخرج ممتعضا «الضمير من الجملة ... غائب»
.....

.....
أحاول ترتيب الأشياء
أما آن انتظام المسننات على دواليبها
سأعيد ترتيب البيت الداخلي فإلى متى يربت الفشل على كتفي
ويعطيني درسا «أمري كيا» في فن ممارسة النفط مع ذوات الأرداف الخام ..
أحد المارة يدس منديلا فارسياً في جيبي .. ويختفي
الهي أوقفوا المؤامرة ضدي قليلا لأعيد قراءة «سيرة بن هشام» ربما أكون قد أخطأت ..
ألملم أعضائي
لا يستجيب أحد
قدماي تهرولان باتجاه بائع الأحذية المستعملة .. أبحث عن حدوة وتأكد لطفا أن المرحوم لم يكن بغلا .. أو حصاناً.
يداي تتطاولان باتجاه نهدين اتقي بهما بداية هذا الصيف تصفعني يد الشرطي وعقوبة الرجم للزاني الثيب .. وشيب الأربعين
لا مكان للشفوية يا شفتيّ سئمت التحريض المريض
إذا بلغ الفطام لنا صبيٌ «... نريد تأمينا صحيا له حتى أنت يا لساني يا حصاني لم تعد تنقذ ليلتي حين اصبح يخذلني كرفيق في المنظمة الطلابية ذاك الفارس النائم على الجبهة اللحمية والمستنكف عن فض الأرض والانسان
وللغرابة أسناني أيضا باتت لا تطاوعني أنا الرافض لكل أشكال التمييز اكتشفت وللأسف الشديد بان طوابير أسناني «سنية» رغم أن طواحين ال عقل لدي ومنذ اغتيل «مهدي عامل في أواخر الثمانينات» حسبتها صارت «شيعية» وهكذا صرت أصحو وأبيت على الحلقة المفقودة من سقف الحلق وحمى طائفية تجتاح رأسي والتهابات مذهبية تنخر الأضراس والإحساس.
وهاأنذا أحاول للمرة الألف دعوة أعضائي
وللمرة الألف لا املك نصابا لعقد المؤتمر الحركي لا شرقا ولا غربا تخذلني .. تتفلت مني وتمارس فلتانا أمنيا مموها بالتعاويذ والفوهات!
.....
لم تصلني مكاتيب على صندوق بريدي منذ شهرين ونصف
وحده المطر المتأخر في الشتاء الماضي مثل عاهرة تتفقد الفقراء أخر الليل من مدونة زبائنها كان يطرق نوافذ شباكي و ذكرياتي
مطر خبيث يفخخ بمهارة ارهابي تجمع انفعالاتي
تناصصت مع «النوّاب» ليلتها نصّف زجاجة عرق
ونصف قصيدة ...
أهذا ماؤك يا الله أخيرا
منقوعا بمذابح شعبي
وبرائحة مؤامرة أموية
وبطعم هزيمة علماني عشية فرز الأوراق بـ«رام الله» يقالُ
أيقظكَ عبور مظاهرة غير عفوية باتجاه أماكن صرف التعويضات
وتسلل مقطع أغنية «للوردة أيام المرحوم بليغ» ويعوض الله يعوض الله ...
يعوض الله دي الدنيا لسا بخير ويعوض الله
فغفوتَ مرة أخرى ...
حسنا سأحاول ترميم السقف الذي أتلفته الرطوبة ومهارة غش الطلاء
وجهلي الدائم بالمتغيرات ونسبة الشبق والنيكوتين في سيجارة حبيبتي الأربعينية....
.....

.....
صادفتك الشوارع فجأة فانتبهت
كانت رائحة الموت تعبق مثل موجز الأنباء في سرير النائمة
وآلاف الجثث المسكونة بالرعب الأزلي تنهض «من الأجداث سراعا» ... باتجاه العاصمة!

### وحدها القطط

كانت تسير ظهرا بدعة وبثقة واضحة
فرغت من ممارسة الحب الجماعي قبل قليلٍ «عاشت وحدة الفكر والإرادة والعمل» هتف صديقي
فتابعناها وهي تهز مع الريح نشوانة أذنابها
ـ حين فاجأنا الصيف هذا العام «في الشارع الممدودِ وسط المدينة كنا ثلاثة»
واحدٌ نسي أن يفرك عينيه منذ يومين
والآخر كان مليئاً بغبار حزيران الماضي
وأنا... أحدق في المارة منتعلا حذائي الشتوي!
ربما استفزتنا عيون العابرين،
ربما بائعو السجائر الصغار...
أو لعلها غزالات الطريق الطيعات..
فرجعنا الى الحانة.... من جديد!
.....
.....
مساءً غلقت المدينة «مثل امرأة ال ذ ل ي ل» أبوابها
ذاب في الملح الرملي بائعو السجائر الصغار
وغفت عيون العابرين
واصطيدت غزالات الطريقِ
وما زالت وحدها القطط تتشبث بما أفرزته صناديق النفاياتِ
و تسير بدعة «وثقة»
واضحة تهز مع الريح نشوانة أذنابها،
.....
.....
في التاسع من نيسان «مساء بعد الثامنة»
عارياً كيافطات الشوارع كنت تراقب منذهلا ..
تشعل سيجارة بردٍ وتعد الثواني للتوابيت القادمة!

* كاتب وشاعر من الأردن